

الزيتون شجراً وثماراً

إيمان معتوق

الإنسان والشجرة رفيقا صبا، وشريكا جهاد؛ أكثر ما ينطبق هذا القول المشهور على شجرة الزيتون، لأنها صاحبت الإنسان منذ أقدم العصور؛ لا سيما سكان غربي آسيا، أي بلدان حوض البحر المتوسط.

وترجع أهمية شجرة الزيتون إلى عدة أسباب، أولها قدم هذه الشجرة، فلقد ذكروا أن نوحاً (ع) حينما أرسل الحمامة من فلكه ليستطلع أخبار الطوفان، عادت الحمامة وفي فمها غصن زيتون، فاطمأن أهل السفينة وأنسوا بذلك، ومن هنا صار غصن الزيتون شعاراً ورمزاً للسلام، حتى اتخذته الأمم المتحدة اليوم لها شعاراً.

وتأتي الأهمية الثانية لهذه الشجرة، أنها من الأشجار المعمرة، فيصل عمر بعضها إلى ألف سنة أو أكثر، وهي من الأشجار المستديمة الخضرة، والتي تصافح الشمس أحقاباً طوالاً، فتكسب قوة وغنى بالفيتامين (د) الذي يحتاجه الإنسان، لا سيما من لا ترى أجسامهم الشمس؛ هي إذاً من الأشجار التاريخية التي تصاحب أجيالاً من البشر قبل أن تتدثر.

ولعل ما يستدل على أهميتها العظمى ورود ذكرها في القرآن الكريم في أربعة مواضع، قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حياً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه﴾ [الأنعام: ٩٩].

وأوراق شجرة الزيتون رمحية، سطوحها السفلية فضية اللون، أزهارها بيض مصفرة اللون، تخرج في عناقيد، ثمرتها جميلة تختلف شكلاً وحجماً باختلاف الأصناف، وإذا تركت لتتضج على الشجرة، تحول لونها إلى البنفسجي فالأسود.

ووردت الإشارة إلى الزيتون في القرآن مرة ثانية في معرض الحديث عن النبات والثمار، قال تعالى: ﴿ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً﴾ [عبس: ٢٦-٢٩].

وفي السورتين المذكورتين، الأنعام وعبس، ورد ذكر الزيتون مقروناً بذكر النخل وكناتهما من الأشجار المفيدة جداً والمعمرة أيضاً.

ولعل من الأهمية العظمى للزيتون وروداً في القرآن الكريم حينما أراد الله أن يضرب مثلاً لنوره وهو الذي ليس كمثلته شيء، فقال تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية

ولا غريبة...». ولقد أنقذت هذه الآية شاعر العرب أبا تمام فيما عيب عليه أن يشبه الحاكم العباسي ببعض "أجلاف" العرب كالأحنف وحاتم وإياس.
في بأس عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
فأجاب على البديهة:

لا تعجبوا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
ولا عجب، فمنذ أقدم الأزمان، استغل الإنسان شجرة الزيتون خير استغلال،
فاستضاء بزيتها وائتم بثمرها، واستوقد عيدانها، وجزل حطبها.
أما الميزة السامية والقيمة الفضلى للزيتون، فتتجلى في قسم الله بها، مقرونة بالتين
في قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ [التين: ١]. وجواب القسم ﴿لقد خلقنا
الإنسان في أحسن تقويم﴾ المتصل باللام، فهو يدل على عظمة المقسوم به وأهميته. لقد
أثبت العلم الحديث وخبرة الإنسان أن زيت الزيتون مادة غذائية عظيمة، وهو أطيب
الزيوت النباتية، يستعمل دواء وغذاء، كما يستعمل الرديء منه في صناعة الصابون
الفاخر، كما استعمله الأقدمون في الاستصباح.

الزيتون غذاء

زيت الزيتون يمتاز عن غيره من الأدهان النباتية بصفات كثيرة، تعود على الإنسان بالصحة والعافية، فهو أسهل هضماً من جميع الزيوت الأخرى.
ويمتاز زيت الزيتون عن غيره من الزيوت باحتوائه على المواد المسماة "البيوييد"
أشبه الأدهان Les lipides، هذه المواد ذات الأثر الفعال في تغذية الحجيرات النامية في
جسم الإنسان، وخاصة النسيج السنجابي في الدماغ، وبهذا يمكن اعتبار الزيت عاملاً في
زيادة القدرة على التفكير، وحسن المحاكمة، وهو ما اعتدنا على تسميته بالذكاء.

الزيتون دواء

نظراً لغنى زيت الزيتون بالفيتامين (د) المتأتي من أشعة الشمس التي تتعرض لها
أغصان الزيتون مدة طويلة من الزمن، فإن الزيتون يكتسب فيتامين (د) الذي يقي
الأطفال من داء الكساح، كما يستفيد منه الأشخاص الذين يعيشون في المخابئ أو الأقبية
المظلمة، إذ يعوضهم عن أشعة الشمس التي يفتقدونها في الملاجئ.
والزيت غني بفيتامين هـ E، فهو مخصب ومقو للنسل، كما يفيد الأطفال والشيوخ
ويزيد من قواهم الحيوية ويمدهم بالطاقة.
والزيت هو خير الأدوية الكبدية، فقد عرفت خواصه المحرصة للكبد على الإفراز،
فهو يستعمل في حالات الحصيات المرارية الكبدية، وفي حالات الإمساك والتشنج

المعوي، فإن تناول ملعقتين كبيرتين من الزيت قبل الطعام بنصف ساعة، دواء ممتاز من أدوية الإمساك، كما يستعمل ترياقاً للسموم الكاوية وعنصراً في المروخ والمراهم.

زيت الزيتون: طب النبأ (ص) والأئمة (ع)

عن علي (ع) عن رسول الله (ص): "عليك بالزيت فكله وادهن به، فإن من أكله وادهن به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً".

وعن الرضا (ع) عن رسول الله (ص): "عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة، ويذهب البلغم، ويشد العصب، ويحسن الخلق، ويطيب النفس، ويذهب بالغم".
وعن أبي عبد الله (ع) عن آبائه (ع): "أدهنوا بالزيت وانتدموا به، فإنه دهنه الأخيار وإدام المصطفين".

وعن الرضا (ع): "نعم الطعام الزيت، يطيّب النكهة، ويذهب بالبلغم، ويصفي اللون، ويشد العصب، ويذهب بالوجع (المرض والوجع الدائم أو التعب والفتور في البدن)، ويطفئ الغضب".

ومما يمتاز به الزيتون أن زراعته تتجح في جميع أنواع الأراضي، وشجره يتحمل العطش والإهمال إلى حد كبير، وشجره أيضاً ينمو مشكلاً دوحات عظام.
وخشب الزيتون جميل متين يصنع منه بعض الأثاث والأوعية والعصي.
وهكذا فإن لشجر الزيتون قوة وصلابة وصموداً وجمالاً وروعة، كما أن في زيتته نيراً ونوراً ودواءً وغذاءً.

فسبحان الله الذي خلق هذه الشجرة المباركة، وأودع فيها ما أودع من أسرار، وما أعظمه من قسم من لدن عليم حكيم خبير لا يقسم إلا بعظيم.

